

POETRY AMONG THE ARABS IS A VESEL FOR KNOWLEDGE AND A RECORD OF CIVILIZATION

Kahala Kaddour¹

¹Chadli Ben Jadid University - El Tarf (Algeria), kahala-kaddour@univ-eltarf.dz

Published: 01/2024

Abstract:

This article aims to invalidate the allegations of many scholars and others who make poetry among the Arabs unrelated to intellectual and scientific life, because for them it is only related to emotions and feelings. And we came to the conclusion that the truth is completely contrary to what they claim, and that Arabic poetry has always, since its appearance, been linked to the mental and intellectual life of the Arabs, as it has always been a container for their sciences, and a record of their civilization in all ages. We cited the concept of poetry itself in the speech of eloquent Arabs on the one hand, and the opinions of many Arabic scholars, writers, and ancient and modern critics on the other hand.

Keywords: Arabic poetry - arabe civilization - affection –Science.

الشعر - عند العرب - وعاء للعلم وسجل للحضارة

قدور كحالة¹

¹جامعة الشاذلي بن جديد بالطارف (الجزائر)، kahala-kaddour@univ-eltarf.dz

الملخص:

هذا المقال يهدف إلى إبطال مزاعم الكثير من الدارسين وغيرهم الذين يجعلون الشعر عند العرب قديما وحديثا لا علاقة له بالحياة العقلية والعلمية، لأنه لا يرتبط عندهم - في نظرهم - إلا بالعواطف والأحاسيس. و الحقيقة هي بخلاف ما يزعم هؤلاء تماما، لأن الشعر العربي لطالما كان منذ ظهوره مرتبطا بالحياة العقلية والفكرية والاجتماعية عند العرب، كما كان دائما وعاء لعلومهم وسجلا

لحضارتهم في كلّ العصور. وهذا ما يثبتته مفهوم الشعر نفسه في كلام العرب الفصحاء من جهة، و ما تؤكده آراء العديد من علماء العربية و أدبائها ونقادها قديما وحديثا من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الشعر العربي - الحضارة العربية - العاطفة - العلم.

تمهيد:

الشعر العربيّ إحد الألوان الأدبية التي امتاز بها العرب منذ القديم، وبرعوا نظمها و تقرّضها، وبه اعتزوا وافتخروا، وفيه دونوا تاريخهم، ومآثرهم، وأفكارهم، وعاداتهم، ومعتقداتهم، كما سجّلوا فيه ظروف حياتهم، وآلامهم، و آمالهم، وعواطفهم، وعلومهم حتى أصبح عنوان حضارتهم، وشعار ثقافتهم عبر التاريخ.

المبحث الأول: علاقة الشعر بالعلم في كلام العرب:

المطلب الأول: كلمة (الشعر) - لغة - تدلّ على العلم:

معنى كلمة (الشعر) ومشتقاتها في كلام العرب:

كلمة (الشَّعْر) أصلها - في كلام العرب - يدلّ على العِلْم ، لأنها مأخوذة من كلمة (الشَّعور) التي معناها (العلم)، يقال: شَعُرَ يَشْعُرُ شِعْرًا، و شَعْرًا، و شِعْرَةً، و مَشْعُورَةً، و شُعُورًا، و شُعُورَةً، و شِعْرَى، و مَشْعُورَاءَ، و مَشْعُورًا، أي: عَلِمَ⁽¹⁾. قال ابن فارس: " (شعر) : الشَّيْنُ والعَيْنُ والرَّاءُ أصْلانِ معروفان، يدلّ أحدهما على ثَبَاتٍ، والآخر على عِلْمٍ وَعَلَمٍ " ⁽²⁾. ومن ذلك قولهم: الشُّعَارُ: الذي يَتَنَادَى به القَوْمُ في الحَرْبِ لِيَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، والأصلُ قولُهُم: شَعَرْتُ بِالشَّيْءِ، إذا عَلِمْتُهُ وَقَطِنْتُ لَهُ. ويقال أيضا: لَيْتَ شِعْرِي، أي: لَيْتَنِي شَعَرْتُ، أو لَيْتَ عِلْمِي، أو لَيْتَنِي عَلِمْتُ. وأشعره الأمر، و أشعره به، أي: أعلمه إياه. وقيل: " أصل ذلك كله من الشعرة ، كالدُّرْبَةِ والفِطْنَةِ، يُقَالُ: شَعَرْتُ شِعْرَةً. وسُمِّيَ الشَّاعِرُ ، لأنه يَفْطِنُ لما لا يَفْطِنُ لَهُ غَيْرُهُ. قالوا: والدليل على ذلك قولُ عَنترَةَ:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُنَرِّدٍ ... أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ

¹ - ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)، مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (شعر)، والرَّاعِبُ الأصفهانيّ (أبو القاسم حسين بن محمد بن المفضل)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1998 ، (شعر)، و ابن منظور (محمد بن مكرم بن عليّ بن أحمد الأنصاريّ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ت.، (شعر)

² - ابن فارس ، المرجع السابق

يقول: إِنَّ الشَّعْرَاءَ لَمْ يُغَادِرُوا شَيْئًا إِلَّا فَطِنُوا لَهُ. (3)

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي لكلمة (الشعر) في اللغة العربية:

عرّف العلماء الشعر بأنه: " منظوم القول ، غلب عليه لشرفه بالوزن و القافية " ، أو " هو القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعارٌ، و قائله شاعرٌ " ، أو " هو - في الأصل - اسمٌ لِلْعِلْمِ الدَّقِيقِ في مثل قولهم: لَيْتَ شِعْرِي، وصار - في التّعاضفِ - اسماً للموزونِ الْمُقْفَى من الكلام (4). ونلاحظ - هنا - أنّ المعنى الاصطلاحيّ لكلمة (الشعر) في اللغة العربية لا يخرج عن المعنى اللغويّ لها ، وهو العلم والفتنة. ولقد أجمع أصحاب المعاجم العربية وعلماء اللغة العربية جميعهم على أنّ الشعر - في كلام العرب - لا يدلّ إلا على العلم، والعقل، والإدراك، والفتنة، فقالوا: "إنّ الشعر هو العلم، و أنّ كلّ شِعْرٍ في كلام العرب عِلْمٌ ، و أنّ كلّ عِلْمٍ شِعْرٌ " ، وأجمعوا - أيضا - على أنّه مأخوذ من قولهم: شَعَرْتُ، أي: أصبْتُ الشَّعْرَ ، و منه استعير شَعَرْتُ كَذَا ، أي: عَلِمْتُ عِلْمًا في الدَّقَّةِ ، كإصابة الشَّعْرِ، وقالوا: " لم يسمّ الشَّاعِرُ شاعراً إلا لِفِطْنَتِهِ و دِقَّةِ مَعْرِفَتِهِ " ، كما قالوا: " لم يطلق اسم الشَّاعِرِ إلا على الْمُخْتَصِّ بِصِنَاعَتِهِ " ، وقالوا أيضا: " لم يسمّ الشَّاعِرُ شاعراً إلا لأنه يَشْعُرُ ما لا يَشْعُرُ غيره ، أي: يعلم مأخوذ من قولهم: شَعَرَ الرَّجُلُ يَشْعُرُ شِعْرًا و شِعْرًا و شِعْرًا ، و شَعَرَ ، أي: قال الشعر، و شَعَرَ أيضا ، أي: أجاد الشَّعْرَ ، و رجل شاعر، و الجمع شُعْرَاءُ، و شَعَرْتُ لفلانٍ ، أي: قلت له شِعْرًا، و المُتَشَاعِرُ: الذي يتعاطى قولَ الشَّعْرِ. و شاعَرَهُ ، فَشَعَرَهُ يَشْعُرُهُ ، بالفتح ، أي: كان أشعر منه و غلبه. و شِعْرٌ شاعِرٌ: جيّد، وكلمة شاعرة ، أي: قصيدة، وهذا البيت أشعر من هذا ، أي: أحسن منه. و في الحديث: (قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ من الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ ، فإذا أَلْبَسَ عَلَيْكُمْ شَيْءٌ من القرآن ، فَالْتَمِسُوهُ في الشَّعْرِ ، فإنه عربيٌّ). (5)

المبحث الثاني: الشعر في تاريخ العرب:

المطلب الأوّل: الشعر في زمن العرب العاربة (البائدة):

1- رأي بعض علماء العربية القدامى:

دَهَبَ الكثير من علماء اللغة العربية و فقهاؤها قديما إلى أنّ الشَّعْرَ العربيّ تاريخُهُ قديمٌ جدًّا يعود إلى زمنِ العربِ العارِبَةِ الذين يُطلقُ عليهم اسمُ (العربِ البائدة) ، لأنّ الله تعالى أبادهم. وهم قبائل: عَادٌ، وَثَمُودٌ، وَطَسْمٌ، وَجَدِيسٌ،

³ - المرجع نفسه

⁴ - الزّاعب الأصفهانيّ ، المرجع السابق، وابن منظور ، المرجع السابق

⁵ - الزّاعب الأصفهانيّ، المرجع السابق، وابن منظور ، المرجع السابق

وَأَمِيمٌ، وَجُزُهُمُ الْأُولَى، وَالْعَمَالِيقُ، وَوَبَارُ. وَهِيَ قِبَائِلٌ مِنْ وَلَدِ سَامِ بْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأُمُّ أُخْرَى لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي زَمَانِهِ أَيْضًا. وَالْمَشْهُورُ أَنَّ هَوْلَاءَ مِنْ قَحْطَانَ، وَاسْمُهُ مَهْزَمٌ، وَهُمْ عَرَبُ الْيَمَنِ. وَقَدْ انْقَرَضَتْ أَجْيَالُ هَوْلَاءِ إِلَّا بَقَايَا مُتَفَرِّقِينَ فِي الْقِبَائِلِ مِثْلَ عَرَبِ الْيَمَنِ، وَحَمِيرَ، وَبَقَايَا جُزُهُمْ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هَوْلَاءَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةَ (البائدة) (6) قَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ الشَّعْرِ (6). وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ فَارِسٍ أَنَّ مِمَّا اخْتَصَّتْ بِهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعُلُومِ الْجَلِيلَةِ الْإِعْرَابُ، وَالشَّعْرُ، وَالْعُرُوضُ، وَحِفْظُ الْأَنْسَابِ. وَذَكَرَ أَنَّ الشَّعْرَ هُوَ دِيوَانُهُمْ، وَحَافِظُ مَاثِمِهِمْ، وَمَقِيدُ أَحْسَابِهِمْ. وَهُوَ بَخْلَافِ شَعْرِ الْأَعَاجِمِ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْفَلَسْفَةُ شِعْرًا، وَادَّعَوْهُ لَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي أَغْلَبَهُ قَلِيلُ الْمَاءِ، وَتُرُّرُ الْحَالَوَةِ، وَغَيْرُ مُسْتَقِيمِ الْوِزْنِ، كَمَا بَيَّنَّ أَنَّ لِلْعَرَبِ الْعُرُوضَ الَّتِي هِيَ مِيزَانُ الشَّعْرِ، وَبِهَا يُعْرَفُ صَحِيحُهُ مِنْ سَقِيمِهِ. وَ مَنْ عَرَفَ دِقَاقَهُ وَأَسْرَارَهُ وَخَفَايَاهُ عَلِمَ أَنَّهُ يُرَبِّي عَلَى جَمِيعِ مَا يَبْجَحُ بِهِ هَوْلَاءَ الَّذِينَ يَنْتَحِلُونَ مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْأَعْدَادِ، وَالْخُطُوطِ، وَالنُّقْطِ الَّتِي لَا أَعْرَفَ لَهَا فَائِدَةً، غَيْرَ أَنَّهَا مَعَ قَلَّةِ فَائِدَتِهَا تُرْقِي الدِّينَ، وَتُنْتِجُ كُلَّ مَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ (7). وَ قَدْ بَيَّنَّ ابْنُ فَارِسٍ - أَيْضًا - فِي بَابِ الْقَوْلِ عَلَى أَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ لَمْ تَنْتَهَ إِلَيْنَا بِكُلِّيَّتِهَا، وَ أَنَّ الَّذِي جَاءَنَا مِنَ الْعَرَبِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكَلَامِ ذَهَبَ بِذَهَابِ أَهْلِهِ، فَقَالَ: "ذَهَبَ عِلْمَاؤُهُ - أَوْ أَكْثَرُهُمْ - إِلَى أَنَّ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ هُوَ الْأَقْلُ. قَالَ: وَلَوْ جَاءَنَا جَمِيعُ مَا قَالُوهُ، لَجَاءَ شَعْرٌ كَثِيرٌ وَكَلَامٌ كَثِيرٌ. وَأَخْرَجَ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ يَكُونُ صَحِيحًا، لِأَنَّنا نَرَى عُلَمَاءَ اللُّغَةِ يَخْتَلِفُونَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا قَالَتْهُ الْعَرَبُ، فَلَا يَكَادُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةِ مَا خُولِفَ فِيهِ" (8). وَذَهَبَ ابْنُ فَارِسٍ - أَيْضًا - إِلَى أَنَّ - هُنَاكَ - اِحْتِمَالًا قَوِيًّا أَنَّ الْعَرَبَ الْعَارِبَةَ قَدْ عَرَفُوا الشَّعْرَ كَمَا عَرَفُوا الْكِتَابَةَ، وَالْقِرَاءَةَ، وَالْعُلُومَ الْأُخْرَى مِثْلَ: الْخَطِّ، وَعِلْمِ الْحُرُوفِ، وَالْإِعْرَابِ، وَالْعُرُوضِ...إِلخ. وَالْأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ فَارِسٍ ذَكَرَ فِي (بَابِ الْقَوْلِ عَلَى الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ وَ أَوَّلِ مَنْ كَتَبَ بِهِ) أَنَّ تَارِيخَ هَذِهِ الْعُلُومِ - بِمَا فِيهَا الشَّعْرُ وَالْعُرُوضُ - يَرْجِعُ تَارِيخِيًّا إِلَى آدَمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الَّذِي هُوَ أَوَّلُ نَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ تَوْقِيفًا (9)، كَمَا ذَكَرَ أَنَّ الْعَرَبَ قَبْلَ أَبِي حَيَّةَ هَذَا بِأَزْمَنَةٍ طَوِيلَةٍ قَدْ عَرَفُوا الْكِتَابَةَ، وَالْقِرَاءَةَ، وَالْإِعْرَابَ، وَالْعُرُوضَ، وَالْعُلُومَ الْأُخْرَى، فَقَالَ: "وَأَبُو حَيَّةَ كَانَ أَمْسٍ. وَ قَدْ كَانَ قَبْلَهُ بِالزَّمَنِ الْأَطْوَلِ مَنْ كَانَ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ، وَيَخُطُّ، وَيَقْرَأُ... وَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ تَدَاوَلُوا الْإِعْرَابَ أَنَا نَسْتَقْرِي قَصِيدَةَ الْحُطَيْئَةِ الَّتِي أَوْلَاهَا: (مَجْزُوءَ الْكَامِلِ):

شَاقَتَكَ أَطْعَانُ لِلْيَلَى *** دُونَ نَاطِرَةِ بَوَاكِرِ

⁶ - عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ملتزم الطبع والنشر لجنة البيان العربي، القاهرة، مصر، ط6، 1968، ص. 94، وعبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، د. ت، ص 49 وما بعدها

⁷ - ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، حققه وقدم له مصطفى الشويبي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1964، ص 77

⁸ - المرجع نفسه، ص 67 و 68

⁹ - المرجع نفسه

فوجد قوافيها كلها عند التّرّم والإعراب تحيء مرفوعةً، ولولا علم الحطيئة بذلك لَأشبه أن يختلف إعرابها، لأنّ تساويها في حركة واحدة إتّفاقاً من غير قصدٍ لا يكاد يكون. فإنّ قال قائلٌ: فقد تواترت الروايات بأنّ أبا الأسود أوّل من وضع العربيّة وأنّ الخليل أوّل من تكلم في العروضي. قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول: إنّ هذين العُلمين قد كانا قديماً، وأتت عليهما الأيّام، وقلاً في أيدي الناس، ثمّ جدّهما هذان الإمامان. وقد تقدّم دليلنا في معنى الإعراب. وأمّا العروض، فمن الدليل على أنّه كان متعارفاً معلوماً قول الوليد بن المغيرة منكرًا لقول من قال: إنّ القرآن شعرٌ. لقد عرضته على أقرّاء الشّع، هزّجه و رَجَّه، و كذا و كذا، فلم أره يشبه شيئاً من ذلك، أفيقول الوليدُ هذا، وهو لا يعرف بحور الشّع؟! وقد زعم ناسٌ أنّ علوماً كانت في القرون الأوائل والزّمن المتقدّم، وأنها درّست وجُدّدت منذ زمانٍ قريبٍ، وتُرجمت، وأصبحت منقولةً من لغةٍ إلى لغةٍ، وليس ما قالوا ببعيدٍ، وإنّ كانت تلك العلوم - بحمد الله و حُسن توفيقه - مرفوضةً عندنا. فإنّ قال: قد سمعناكم تقولون: إنّ العرب فعلت كذا، و لم تفعل كذا: من أنّها لا تجمع بين ساكنين، و لا تبدىء بساكنٍ، ولا تقف على متحرّكٍ، وأنها تسمّي الشّخص الواحد بالأسماء الكثيرة، و تجمع الأشياء الكثيرة تحت الاسم الواحد. قلنا: نحن نقول: إنّ العرب تفعل كذا بعد ما وطأناه أنّ ذلك توقيفٌ حتّى ينتهى الأمر إلى الموقف الأوّل. ومن الدليل على عزّان القدماء من الصحابة و غيرهم بالعربيّة كتابتهم المصحف على الذي يعلّله النّحويّون في ذوات (الواو)، و (الياء)، و (الهمز)، و (المدّ)، و (القصر)، فكتبوا ذوات (الياء) ب (الياء) ، وذوات (الواو) ب (الألف) ، و لم يُصوِّروا (الهمزة) إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل: الخبء، و الدّفء، و الملاء، فصار ذلك كلّهُ حَجَّةً، وحتّى كره من كره من العلماء تزكّ اتّباع المصحف من كره¹⁰). وذهب القاضي الجرجاني (ت392هـ) إلى أنّ الشّع علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطّبع، والرّواية، والدّكاء، ثمّ تكون الدّربة مادة له، وقوة لكلّ واحد من أسبابه.⁽¹¹⁾

2- رأي بعض علماء العربيّة المحدثين:

اختلف العلماء والباحثون المحدثون في وجود الشّع في زمن العرب العاربة، وانقسموا في ذلك قسمين:

أ-القسم الأوّل: هم الذين أثبتوا وجوده في زمن العرب العاربة متّبعين في ذلك ابن فارس وغيره من علماء العربيّة القدامى، واحتجّوا في ذلك بأنّ الشّع العربيّ قديم جدّاً ، لأنّه يتّسم بطبيعته الغنائيّة التي هي الأخرى قديمة فيه كما هو الحال عند جميع الأم الاخرى، كاليونان، والرّومان، والفرس، وغيرها التي نشأ عندها الشّع نشأة غنائيّة فطريّة

¹⁰ - المرجع نفسه، ص34

¹¹ - القاضي الجرجاني (عليّ بن عبد العزيز بن الحسين بن عليّ)، الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم الجاوي ، القاهرة ، مصر ، 1945 ، ص14 و15

في فترة زمنية مبكرة من تاريخها، بحيث كان الشعر الغنائي أول شعر زاولته البشرية في بدايات حياتها الأولى. فالشعر العربي - إذن - ليس بدعا في ذلك. وهو مشتق عند العرب - كما ذكر سالفا - من كلمة (الشعر) التي تدل على العلم والعاطفة معا. والمقصود هنا: هو علم الشاعر وشعوره عندما يتأثر شخصيا بما يحس به و بما يدور حوله من أحداث، فيقف معبرا شاديا متغنيا مترنما عن شعوره بكلام موزون مقفى. وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أنّ الظاهرة الغنائية اقترنت بالشعر العربي الذي هو إرث قديم جدا يتصل بالسما والوحي، وله علاقة وثيقة بكلام الانبياء والمرسلين، من آدم عليه السلام حيث هناك شعر عربي موزون معروف ينسب إلى سيدنا آدم، وإلى سيدنا داود، وسينا سليمان، حيث المزامير التي يعتقد أنّها كانت موزونة، ومقفاة، وعمودية، وعلى الطريقة العربية. وذكروا - أيضا - أنّهم وجدوا أنّ الشعر العربي كان هو الطريقة الوحيدة لدى الشعوب القديمة، لنقول فيها الشعر، ففي دراسة قيمة للأستاذ أحمد نجيب، من مصر، تحت عنوان (أغاني الأطفال الشعبية، 1983م الهيئة المصرية العامة للكتاب، والتي أجراها على واحد وعشرين لغة في العالم، في إفريقيا، وآسيا، وأوروبا، وأستراليا، وفي أمريكا الجنوبية، أثبت بما لا يدع مجالا للشك أنّ أصل الشعر لدى أمم الأرض في العالم القديم كان موزونا على الطريقة العربية، وأنّه لا يزال يُوقَّع على الأوزان نفسها.¹²

وقد عرف هذا الشعر منذ نشأته الأولى في زمن العرب العاربة تطورات متتالية مثله في ذلك مثل اللغة العربية التي عرفت - هي الأخرى - تطورات متتالية منذ ذلك الزمن البعيد نتيجة اتساع موطنها العربي، وتعدّد لهجاتها، واحتكاكها، وصراعها في أوقات السلم والحرب بلغات الأمم الأخرى، ولاسيما بأخواتها السامية.

ب-القسم الثاني: وهم الذين لم يجزمو بوجود الشعر عند العرب العاربة بسبب ضياع أكثر هذا الشعر القديم نتيجة الإعتقاد على المشافهة وتأخر عملية التدوين إلى فترة جد متأخرة في زمن الجاهلية عند العرب المستعربة. الأمر الذي جعل من الصعوبة بما كان تحديد تاريخ بداية الشعر عند العرب في زمن الجاهلية، فما بالك بزمن العرب العاربة تحديدا دقيقا وصحيا. ولذلك، فقد أنكروا وجود الشعر العربي في زمن العرب العاربة. وذهبوا إلى أنّ ما روي من شعر العرب العاربة لا يصحّ، وأنكر العارفون منهم على من كتب في السيرة أشعارا كثيرة نسبها إلى عادٍ و ثمود. ويرى هؤلاء الناكرون أنّ شدة حبّ اللغة العربية والتعلّق بها دفع ببعض العلماء إلى جعل اللغة العربية الباقية الناضجة هي نفسها اللغة العربية البائدة ممّا أوقعهم في مجانبة الصواب والتعارض مع وجهة النظر العلمية، والتي توجب أن يكون بينهما اختلاف كبير، كما دفعهم - أيضا - إلى توهم - مثلا - أنّ آدم - عليه السلام - كان يعرف العربية، ونسبوا إليه أشعارا، كما نسبوا للجنّ أشعارا أخرى. وفي هذا المعنى يقول رمضان عبد التّواب:

¹² - خالد محمّد حمد، العرب من اليمين إلى اليسار الحرب على العرب، دار يعرب للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2006، ص175 و176

واللغة العربية الجاهلية ليست بدعا بين اللغات، فهي حلقة في سلسلة حلقات طويلة من التطور والتغي، أي: أنها لم تكن، كما يتخيّل بعض الناس بصورتها التي رويت لنا منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، وإنا لنبتسم لسذاجة من روى لنا شعرا عربيا على لسان قحطان بن هود من الكأبة، والجزع، والعم، والحزن على قومه عاد، فقال:

إني رأيتُ أبي هودا يُورِّقُهُ *** حزنٌ دخيلٌ ، وبَلْبَالٍ وإسْهَادُ

لا يحزننَّك أن طاحتْ بدهيةٍ *** عادُ بنُ لاوى ، فعَادُ بِئْسَمَا عادُ

بل لقد رَوُوا لنا أن آدم - عليه السلام - قال شعراً عربياً في رثاء ابنه (هابيل) حين قتله (قابيل)، وقالوا: إن أول من أقوى في الشعر هو آدم عليه السلام، وهو يقول في قصيدته تلك:

تغيّرتِ البلادُ ومنَ عليها *** فوجه الأرضِ مَعْبَرٌ قَبِيحٌ

تَغَيَّرَ كُلُّ مَنْ ذِي حُسْنٍ وَ طَيْبٍ *** وَ قَلَّ بِشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

ويرى الكثير من الباحثين الباحثين أننا حين نفكر في حال اللغة العربية قبل ظهور المسيحية -مثلا - نجد أنفسنا في ظلام دامس، وسبب هذا عدم وجود النصوص العربية التي ترجع إلى تلك العهود. وأقدم ما عثر عليه من هذه النصوص لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادي. ورأوا - أيضا - أن مراحل العربية الأولى من تاريخها غامضة، ولاسيما في زمن العرب العاربة، وتكاد تكون مجهولة تماما. وبخاصة، وأنها لم تكن مدونة ومضبوطة إلا القليل النادر منها، والذي وجد منقوشا على قبر امرئ القيس، وهو لا يشفي غليلا، ولو وصلنا منها الشيء الكثير لتمكّن العلماء والدارسون من معرفة خصائص هذه اللغة العربية وأدبها وشعرها، وما طرأ عليها من تغيير فيما بعد. ولذلك يقدّر الباحثون أن نصوص الشعر العربي الجاهلي لا تبتعد عن ظهور الإسلام (بداية نزول القرآن سنة 612م) بأكثر من قرن ونصف القرن، أو قرنين على أبعد تقدير. وأمّا المراحل الأولى من تاريخها التي مرّ بها الشعر العربي واللغة العربية إلى أن وصلا إلى مرحلة الاكتمال، فليس من الممكن والتمتيسر التعرف إليها غير أن العلماء والباحثين أجمعوا كلهم على أن هذا الشعر العربي القديم - على غرار اللغة العربية - لم يصل إلينا إلا بعد أن مرّ بمراحل طويلة من التهذيب، والصقل، والانتقاء، في فترات من الزمن متالية، كان آخرها المرحلة التي بلغ فيها من الرقي والنضج والكمال، درجة لم يبلغها إلا في زمن الجاهلية، أي: قبل ظهور الإسلام بقرنين من الزمان. وقد أجمع العلماء والباحثون على أن هذه المرحلة هي المرحلة التي بلغ فيها الشعر العربي درجة الكمال بعد أن تقاربت لهجات القبائل العربية المختلفة وتوحّدت في لغة عربية واحدة مشتركة في غاية الفصاحة والبيان، هي المعروفة باللغة النموذجية أو لغة الأدب والشعر العربي التي تناقلتها الرواة حتى عصر التدوين، ثم أثبتتها في بطون الكتب

والمعجمات. وقد كان لقريش في تهذيب لهجات هذه اللّغة واختيار الفصح منها، وتوحيدها اليد الطّولى في هذا كلّه باتّفاق جميع العلماء قديما وحديثا (13)

المبحث الثالث: الشّعر في زمن العرب العرب المستعربة (الباقية):

المطلب الأوّل: بدايات الشّعر العربيّ في زمن العرب المستعربة:

1- رأي بعض علماء اللّغة العربيّة القدامى في ذلك:

دَهَبَتْ طائفةٌ أخرى من علماء اللّغة العربيّة القدامى و فقهاؤها إلى أنّ بدايات الشّعر العربيّ ارتبطت بلغات العربِ الباقية (المُستعربة) التي نشأت بمنطقة نجد و الحِجازِ ، ثمّ انتشرت - بعد ذلك - في كثير من المناطق التي كانت تشغلها أخواتها من اللّغات السّاميّة والحاميّة من قبل. وهذه اللّغة هي التي تنصّرف إليها الكلمة العربيّة عند إطلاقها، والتي لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربيّة الأخرى لغة أدب، وكتابة، وتأليف. وهذه اللّغة هي لغة العرب المستعربة، أي: اللّغة العربيّة القديمة التي تفاهم بها إبراهيم - عليه السّلام - مع زوجة ولده العربيّة الأصيلة من غير ترجمان أثناء غيابه في مكّة. وقيل: " هي لغة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام، لأنّه هو أوّل من تكلم بها "، فقد روي في الحديث: (أوّل من فتق لسانه بالعربيّة المتينة إسماعيل عليه السّلام، وهو ابن أربعة عشرة سنة) ، و روي: (أنّ إسماعيل - عليه السّلام - ألهم اللّغة العربيّة إلهاما)، وروي أيضا: (أنّ رسول الله - عليه الصّلاة والسّلام - تلا قوله تعالى : { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (فصّلت:3) ، ثمّ قال: (ألهم إسماعيلُ هذا اللّسان العربيّ إلهاما)، وروي - أيضا - أنّ أوّل من تكلم بالعربيّة إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السّلام، ثمّ ورث هذا اللّسان عنه أولاده، فأخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض، ويضعون الأسماء بحسب ما يحدث من المعاني إلى أنّ ظهرت اللّغة في كامل حسننها وبيانها، وصار لها شأن عظيم وتأثير بليغ. وهذه اللّغة هي التي نزل بها القرآن الكريم. وهي اللّسان الذي تكلمت به العرب على عهد النّبّي محمّد عليه الصّلاة والسّلام. وهذه اللّغة العربيّة الباقية

¹³ - السيوطي (جلال الدّين بن عبد الرّحمن)، المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، شرح وتعليق محمّد جاد المولى بك ومحمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البخاوي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان 1987، ودار الجيل، بيروت، لبنان، ودار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع ص31، ومحمّد الخضر حسين ، دراسات في العربيّة وتاريخها ، المكتب الإسلامي ومكتب الفتح، دمشق، سورية، 1960، ص 120، والشّيخ أحمد رضا ، مولد اللّغة ، قدّم له ، وعلّق عليه نزار رضا ، دار الزّائد العربيّ ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص62، و إبراهيم أنيس ، في اللّهجات العربيّة ، المطبعة الفنّيّة الحديثة، القاهرة، مصر، 1965، ص18، ورمضان عبد النّوّاب، دراسات وتعليقات في اللّغة، النّاشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1994، ص 216 وما بعدها، و جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربيّة لجرجي زيدان، المجلّد الأوّل، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص39، وحسين الحاج حسن، المرجع السّابق، ص156 وما بعدها، وعبد الجليل عبد الرّحيم، المرجع السّابق، ص31 وما بعدها، وأحمد محمّد قدّور، مدخل إلى فقه اللّغة العربيّة، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1993، ص23 وما بعدها و ص63 وما بعدها،

تختلف كل الاختلاف عن العربية البائدة، لأنّ هذه الأخيرة عربيّة أخرى غير كلامنا هذا. وذهب الكثير من علماء اللّغة العربيّة إلى أنّ أقدم ما وصل إلينا من آثار العربيّة الباقية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد، ولذلك لا نعلم شيئاً عن طفولة اللّغة العربيّة وما اجتازته من مراحل في عصورها الأولى.⁽¹⁴⁾

2- رأي بعض علماء العربية المحدثين في ذلك:

ذهب الكثير من علماء العربية المحدثين إلى أنّ اللغة العربية الباقية هي التي ورثناها عن العصر الجاهليّ، أي: قبل ظهور الإسلام بقليل، فالباحث في تاريخ هذه اللّغة ومراحل تغيّرها يجد نفسه مرغماً على أن يقيم بحثه عليها. وهذه اللغة قد بلغت شأواً كبيراً من النّضج والكمال. وهي التي وصلت إلينا عن طريق آثار العصر الجاهليّ شعراً ونثراً وعن القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف وآثار العصور الإسلاميّة المختلفة، وهي ما يطلق على لغتها عند الكثير من الدّارسين باللّغة الأدبية المشتركة، وهذه اللّغة ساهم في نشأتها مجهودات أدباء القبائل العربيّة، كما غدّتها قریش وعملت على توحيدها وتقويتها أكثر بسبب ما أتيح لها من أسباب وظروف القوّة السياسيّة الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي خوّلت لها أن تكون مركزاً لهذه الوحدة العربيّة.⁽¹⁵⁾

المطلب الثاني: نضج الشعر العربيّ في زمن العرب المستعربة واكتماله:

أولاً: المعروف من تاريخ الشعر العربيّ الجاهليّ:

لقد أجمع علماء العربية القدامى والمحدثين أنّ المعروف من الشعر العربيّ الجاهليّ لا يتعدّى تاريخه قبل ظهور الإسلام مائتين وخمسين سنة. وأبعد من هذا الرّمن يبقى مجهولاً لا يعرف عنه شيء الكثير. وأعظم ما يحير فيها الدّارسين والباحثين هي كونها ظهرت مكتملة في أبهى صورها غنيّة بمادتها، وشاسعة في طرائق استعمالها، لذلك يبقى البحث عن طفولة هذه اللّغة أمراً ملحاً، إذ لا يقبل عقلاً أن تكون اللغة العربية متطورة في شكلها الكامل والتّام هذا دون أن تكون لها مراحل طفولة مرّت به. ولا يعلم الباحثون شيئاً عن طفولة هذه اللّغة التي ظهرت لأول مرّة مكتملة ناضجة، كما لم يعثر العلماء في مواطنها الأولى بنجد والحجاز على آثار منقوشة أو مكتوبة تلقي ضوءاً على حالتها الأولى. ورأوا - أيضاً - أنّ هذه اللّغة العربيّة الباقية هي التي ورثناها عن العصر الجاهليّ، أي: قبل

¹⁴ - السيوطي، المرجع السابق، ومحمد الخضر حسين، المرجع السابق، ص120، والشّيخ أحمد رضا، المرجع السابق، ص62، وإبراهيم

أنيس، المرجع السابق، وعبد الجليل عبد الرّحيم، المرجع السابق، ص34

¹⁵ - عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص94، وعبد الجليل عبد الرّحيم، المرجع السابق، ص49 وما بعدها، و جرجي زيدان، تاريخ آداب

اللّغة العربيّة، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 198، ص1/39

ظهور الإسلام بقليل⁽¹⁶⁾. وفي هذا يقول محمود سليمان ياقوت مثلاً: "و حين تحديد العصر الذي يطلق عليه اسم العصر الجاهليّ نجده يشمل الحقب والأزمنة السّابقة على ظهور الإسلام ، وما طرأ على الجزيرة العربيّة من الأطوار التّاريخيّة في العصور القديمة الواقعة قبل الميلاد وبعده ، ولكن القدامى والمحدثين حين يدرسون هذا العصر لا تجاوز الفترة الزّمنيّة الخاصّة به أكثر من قرن ونصف من بعثة سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لأنّها الفترة التي يعتقدون أنّ اللّغة العربيّة صارت خلالها كاملة في خصائصها وطرق التّعبير فيها ، وهي الفترة نفسها التي وصل إلينا عنها الشّعْر الجاهليّ".⁽¹⁷⁾

ثانياً: لغة الشّعْر الجاهليّ:

ذهب الكثير من الباحثين والدارسين - أيضاً - إلى أنّ الباحث في تاريخ الشّعْر العربيّ بصفة خاصّة واللّغة العربيّة بصفة عامّة يجد نفسه مرغماً على أن يقيم بحثه على هذه اللّغة العربيّة المشتركة التي لا يتعدّى تاريخها - كما ذكرنا - ظهور الإسلام إلّا بزمن ليس بالبعيد بواسطة الرّواية في البداية ثمّ التّدوين لاحقاً. وخير مثال على ذلك تلك التّصوص الأدبية الجاهليّة ولا سيما الشّعريّة منها التي عدّت آثاراً راقية تناقلتها الألسن ، و سجّلتها الحافظة زماً ليس بالقصير رغم ما اعتراها من تحريف بالنّقص والزيادة في بعض الأحيان نتيجة فقدان وسائل التّدوين في بعض الأحيان، وبسبب ضعف الرّواية في بعض الأحيان الأخرى، ممّا دفع ببعض العلماء قديمهم و حديثهم إلى التّشكيك في صحّة بعض تلك الآثار، أو في نسبتها لأصحابها. كما أنّ التّاريخ السّياسيّ و الاجتماعيّ لجزيرة العرب قبل الإسلام غامض في كثير من نواحيه. و ما يهّمنا - هنا - هو أنّ العربيّة الباقيّة المتمنّلة في هذه اللّغة المشتركة قد وصلت إلينا عن طريق آثار العصر الجاهليّ شعراً ونثراً ، وعن القرآن الكريم والحديث النبويّ الشّريف و آثار العصور الإسلاميّة المختلفة ، وهي ما يطلق على لغتها عند الكثير من الدّارسين باللّغة الأدبية المشتركة. وهذه اللّغة ساهم في نشأتها مجهودات أدباء القبائل العربيّة، كما غدّتها قريش، وعملت على توحيدها، وتقويتها أكثر ، وذلك بسبب ما أتيح لها من أسباب وظروف القوّة السّياسية الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي خوّلت لها أن تكون مركزاً لهذه الوحدة العربيّة. وهذه اللّغة العربيّة الأدبيّة المشتركة هي لغة قريش التي هي اللّغة الفصيحة التّموجيّة التي توحدت فيها لهجات القبائل ، وصارت لغة الشّعراء والخطباء، لكونها لغة مختارة فصيحة يستعملها الخاصّة من النّاس و لغة الآداب عند جميع قبائل العرب بها ينظم الشّعْر، و تلقى الخطب ، و ترسل الحكم و الأمثال، وتدوّن الرسائل، وتتفاوض الوفود، ويتبارى الأدباء، وتجري المناقشة في الأسواق ، و النوادي ، و المؤتمرات. و قد تمّ لها ذلك قبل

¹⁶ - هادي نهر ، علم اللّغة الاجتماعيّ ، دار الغصون ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988 ، ص 89 و 90

¹⁷ - محمود سليمان ياقوت ، منهج البحث اللّغويّ ، دار المعرفة الجامعيّة ، طبع والنّشر والتّوزيع ، الإسكندريّة ، مصر ، 2002 ، ص 32

بعثة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بزمن غير قصير ، وما يؤكد لنا هذه الحقيقة أنّ الشعراء الذين ينتمون لبعض القبائل العربية - أي: تلك التي عرفت بصفات وخصائص لهجيّة خاصّة بها هي وحدها - لا تشتمل آثارهم الشعريّة على ظواهر لغويّة تمتاز بها لهجات قبائلهم الأصليّة ، وفي هذا دليل على أنّهم كانوا ينظمون أشعارهم باللّغة الأدبيّة المشتركة، وهي في - أغلبها - لغة قريش ، و هذه اللّغة الأدبيّة المشتركة هي التي نزل بها القرآن الكريم ، وتكلم بها الحديث النبويّ الشريف. (18)

ثالثاً: الجاحظ أول من ادّعى بأنّ الشعر العربيّ حديث الميلاذ صغير السنّ:

ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أنّ الجاحظ هو المسؤول عن تحديد تاريخ الشعر العربيّ الجاهليّ ، لأنّه أول من قال بأنّه حديث الميلاذ ، صغير السنّ ، وجعل الفضل في ظهوره يعود إلى الشاعريّ الجاهليّ امرؤ القيس ومهلل بن ربيعة الذين عدّهما أول من نظم فيه أبيات شعريّة ، وذلك حين قال: "أمّا الشعر فحديث الميلاذ ، صغير السنّ ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطّريق إليه امرؤ القيس بن حجر ، ومهلل بن ربيعة... ، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار ، فمائتي عام" (19).

رابعاً: ردّ بعض العلماء على الجاحظ وإبطالهم لما ادّعاه:

لقد ردّ بعض الباحثين على قول الجاحظ هذا ، وأبطلوه ، وذكروا بأنّ هناك بعض الأبيات الشعريّة الجاهليّة التي تدلّ على أنّ الشعر العربيّ الجاهليّ له تاريخ سابق طويل يتعدّى زمن الجاهليّة المعروف بحقب طويلة ، واستدلّوا على ذلك بالشاعر الجاهليّ الشهير امرؤ القيس الذي يعترف هو نفسه بأنّ هناك شعراء آخرين سبقوه في قول الشعر ، وأشار إلى الشاعر الذي يسمّى " ابن خدام " الذي يعدّ أول من بكى الدّيار ، ووقف على الأطلال ، فقال:

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ المَجِيلِ لَعَلَّنَا * * * نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِدَامِ

¹⁸ - السيوطي ، المرجع السابق، ص31 ، و الزركشي (بدر الدّين محمّد بن عبد الله)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، دبت ، 115/1 ، و محمّد الخضر حسين ، المرجع السابق، و إبراهيم أنيس، المرجع السابق، ص18 ، و والشيخ أحمد رضا ، المرجع السابق، ص62 ، وعبد الواحد وافي ، المرجع السابق، ص94 ، و صبحي الصّالح ، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1960 و ط10، 1983 ، ص59 ، وإبراهيم محمّد نجا ، فقه اللّغة ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، مصر ، 1956 ، ص9 وما بعدها

¹⁹ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت ، لبنان ، 1969 ، 74/1 ، ومحمود سليمان ياقوت ، المرجع السابق ، ص32 و 33

كما استشهدوا بقول عنتره في مطلع معلّته:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ *** أَمْ هَلْ عَزَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهْمِ

أراد عنتره أن يقول: هل ترك الشعراء السابقون شيئاً إلا وقد قالوا فيه ، فكفوك المؤونة.

واحتجوا بقول زهير بن أبي سلمى:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مُعَارًا أَوْ مُعَادًا مِنْ قَوْلِنَ مَكْرُورًا (20)

المبحث الثالث: ارتباط الشعر بالعقل والعلم أكثر من ارتباطه بالعاطفة:

المطلب الأول: الشعر بين العاطفة والعقل:

أولاً: الشعر والعاطفة:

زعم البعض أنّ الشعر ما هو إلا لغة العواطف والمشاعر كما أنّ النثر لغة العقل، والدليل على ذلك أنّ الشعر يتسم منذ نشأته بطبيعته الغنائية والعاطفية، ولأنّ الشاعر لا يعبر إلا عن عواطفه وأحاسيسه بشعره. وقد تبعهم في ذلك الكثير من القراء والعوام. و هم - بذلك - يعتقدون اعتقاداً جازماً بأنّ الشعر لا يرتبط إلا بالجانب العاطفيّ و الوجدانيّ عند الإنسان ، و لا علاقة له - البتة - بالجانب العقليّ و العلميّ وبالحياة الاجتماعية عنده. و حُجَّتُهُمْ - في ذلك - أنّ كلمة الشعر - في كلام العرب - مشتقة من الشعور الذي هو بمعنى العاطفة و الإحساس. و ذهبوا - أيضاً - إلى أنّ لغة الشعر لا علاقة لها بلغة العقل والعلم ، لأنّها تفتقر إلى الرموز والمصطلحات العلمية. و وعن أمثال هؤلاء يروي لنا عمر فروخ، فيقول: " لأحد شيوخ الأدب في العصر الحاضر قول هو أنّ الشعر لغة العاطفة ، و أنّ النثر لغة العقل ، ودليله على ذلك أنّ الفلسفة اليونانية كتبت بالنثر ". (21)

ثانياً: إبطال هذا الزعم الباطل والإعتقاد الخاطيء :

ذهب الكثير من الأدباء والنقاد قديماً وحديثاً إلى أنّ هذا الزعم باطل و هو نقد غير علمي ، لأنّه اعتقاد خاطيء فيه الكثير من الزينغ، والإجحاف، ومخالفة الصواب. ونستعرض هنا آراء البعض منهم على النحو الآتي:

1- علماء العربية القدامى:

²⁰ - محمود سليمان ياقوت ، المرجع نفسه، ص33

²¹ - عمر فروخ ، عبقرية اللغة العربية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1981 ، ص 261

لقد أكدَ جُلّ علماء العربية القدامى على أنّ الشّعْر هو أحد علوم العرب التي برعوا فيها ، واشتهروا بها ، وهو مستودع أفكارهم ، وأخلاقهم ، وقيمهم ومعتقداتهم ، ووعاء حكمهم ، ودليلهم - في ذلك - أنّ الحكمة - لغة - تحمل دلالات العلم ، والفهم ، والفقه ، والفتنة ، ورجاحة العقل ، والقضاء ، والعدل . وهي - في الاصطلاح الفكري والفلسفي - معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويُطلق على مَنْ يُحسِنُ دقائق الصناعات ويتقنها: اسم حكيم ، وهو ذو حكمة ، أي: عالم . والحُكْمُ والحِكْمَةُ مِنَ العِلْمِ . وقيل: سُمِّيَتِ الحِكْمَةُ بذلك ، لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل . و الحِكْمَةُ - في الاصطلاح الأدبي - تدلّ ذلك القول البليغ الموجز الذي يحاول سنّ نُظْمٍ خُلُقِيَّةٍ يتَّبِعُهَا النَّاسُ فيما يرضونه من الخصال والسلوكات ، أو ما يُكْرَهُونَهُ من أقوال وأفعال وعادات ، تُصاغُ في بَيْتِ شِعْرِ أو مَثَلٍ أو عِبَارَةٍ أنيقة موجزة محكمة المبنى غزيرة المعنى ذات دلالات بعيدة . وأنّ الرّسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال في الشّعْر: (وَإِنَّ مِنَ الشّعْرِ لِحِكْمَةً) ، وفي رواية: (وَإِنَّ مِنَ الشّعْرِ حِكْمًا) (22) . وقد عرف عن الكثير من العرب أنّهم كانوا أصحاب حكمة ، وعلْم ، وصناعة ، وشعر ، وفنّ ، وحضارة . فقد ذكر المؤرّخون أنّ لعرب الشمال من الغسانيين والمناذرة وعرب الجنوب - أي: سكان اليمن من التّبايع - قبل الإسلام حضارات مزدهرة إقتصاديًا وثقافيًا تناسب مع دولهم التي أسسوها ، كما كان لعرب الجزيرة بدوا وحضرا - وهم جمهرة العرب العدنانية - الكثير من العلوم والمعارف التي استقوها من الأم الأخرى المجاورة أو اهتموا إليها بأنفسهم عن طريق التّجارب الحياتية اليومية الصّادقة وبواسطة الملاحظات والمعانيات المتكررة المبنية على قوّة النّظر وصدق الحسّ . ومن هذه العلوم والمعارف: علم الفلك ، وعلم الطّبّ ، والفِراسَة ، والقيافة ، ووعلم الكهانة والعِرافَة ، وعلم الرّيافة ، وعلم الاهتداء في الصّحارى والبراري ، وعلم الأنساب . وأفضل تراث علمي وأدبي تركوه هو الشّعْر ، فهو يعتبر مستودع عاداتهم وتقاليدهم ، وسجلّ حضارتهم ومآثرهم ، ومصدر اعتزازهم وفخرهم ، و ديوان علومهم ومعارفهم ، وحافظا لأيامهم وعقائدهم وأكثر مظاهر نظم حياتهم الاجتماعيّة (23) . ولقد كان الكثير من علماء العرب القدامى يعتمد على الشّعْر العربيّ الجاهليّ الفصيح في معرفة علوم العرب وفنونهم ولغاتهم في الجاهلية و صدر الإسلام وفي بيان وتفسير ما أشكل وغمض من الكلمات الغريبة في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، على رأسهم الصّحابيّ الجليل عبد الله بن عبّاس - رضي الله عنه - الذي اشتهر عنه ذلك حتّى عدّه العلماء والدّارسون مؤسس أول

²² - الزّاعب الأصفهانيّ ، المرجع السّابق ، (حكم) ، وابن منظور ، المرجع السّابق ، ويحيى الجبوري ، الشّعْر الجاهليّ خصائصه وفنونه ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص403 ، وهاشم صالح مناع ، الحكمة وتطورها في شعر أبي تمام (عرض وتحليل) ، التّراث العربيّ ، مجلّة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، سورية ، العدد: (101) ، كانون الثّاني ، 2006 ، ص188 وما بعدها ، وعبد الجليل عبد الرّحيم ، المرجع السّابق ، ص426

²³ - مصطفى علم الدّين ، المجتمع الإسلاميّ في مرحلة التّكوين ، دار النّهضة العربيّة ، بيروت ، لبنان ، 1992 ، ص165 ، و حسين الحاج حسين ، حضارة العرب في عصر الجاهلية ، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1984 ، ص43 وما بعدها ، ومحمود سليمان ياقوت ، منهج البحث اللّغويّ ، دار المعرفة الجامعيّة لطبع والنّشر والتّوزيع الاسكندرية ، مصر ، 2002 ، ص31

مدرسة في تفسير القرآن الكريم استعانت باللّغة والشّعر ، واتّسع نطاقها فيما بعد⁽²⁴⁾. وقد روي عن ابن عباس قوله الشّهير في الشّعر: " إذا سألتموني عن غريب القرآن ، فالتمسوه في الشّعر ، فإنّ الشّعر ديوان العرب " وقوله: " الشّعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه. وقد أجمع علماء العربيّة القدامى أنّ العرب لم يبرعوا إلّا في علوم الشّعر ، والفصاحة ، والبيان ، ولذلك تحدّاهم الله تعالى فيما هم بارعون فيه⁽²⁵⁾. ولما كان الشّعر ديوان العرب ، ومعظم آدابها ، ومستودع علومها ، وحافظ مآثرها ، ولم يكن لهم علم أجرى على أسنتهم منه ، كما لم يكن لهم دين أحظى لديهم سواه ، فقد عني علماء العربيّة بحفظه ، وروايته ، ودراسة ألفاظه وتراكيبه ومعانيه وأغراضه وأساليبه مثل: حمّاد الزّواوية ، وخلف الأحمر ، والأصمعيّ ، وأبي عمرو بن العلاء ، وأبي زيد الأنصاريّ ، والمفضل الضّبّيّ ، وابن الأعرابيّ ، والخليل بن أحمد الفراهيديّ ، وغيرهم كثير جدّا ، واشتدّت عناية العلماء به حتّى أكثروا من الاحتجاج به في كلّ العلوم والفنون مقارنة بغيره من أجناس الشّواهد الأخرى". وخير دليل على ذلك أننا ونجدنا من علماء البلاغة العرب القدامى الإمام عبد القاهر الجرجانيّ يبيّن قيمة الشّعر العربيّ في علوم اللّغة العربيّة ، ولاسيما في علم الإعراب ، ويشنّع على من يذمّ الشّعر وعلم الإعراب اللّذين هما عنده علما جليلان متلازمان ، فيقول: " ولما لم تعرف هذه الطّائفة هذه الدقائق ، و هذه الخواصّ واللّطائف ، لم تتعرض لها ، و لم تطلبها ، ثمّ عنّ لها بسوء الاتفاق رأيّ صار حجازاً بيّنها و بينّ العلم بها، و سدّاً دون أن تصلّ إليها، و هو أنّ ساء اعتقادها في الشّعر الذي هو معدّنها، و عليه المعوّل فيها ، و في علم الإعراب الذي هو لها كالناسب الذي ينميها إلى أصولها، و يبيّن فاضلها من مفضولها ، فجعلت تُظهر الرّهذ في كلّ واحد من التّوعين ، و تطرح كلاً من الصّنفين ، و ترى التّشاغل عنهما أولى من الاشتغال بهما ، و الإعراض عن تدبّرهما أصوب من الإقبال على تعلّمهما. ذمّم للشّعر. و أمّا الشّعر، فخيّل إليها أنّه ليس فيه كثير طائل، وأنّ ليس إلّا ملحّة أو فكاهة، أو بكاء منزل أو وصف طلل، أو نعت ناقة أو جمل، أو إسراف قول في مدح أو هجاء ، و أنّه ليس بشيء تمسّ الحاجة إليه في صلاح دين أو دنيا " ⁽²⁶⁾ ، كما نجده يتحدّث كثيرا - أيضا - عن منزلة الشّعر و النّحو من قضايا إعجاز القرآن ، وبيّن أنّ لمعرفة النّحو وأشعار العرب قيمة كبيرة ، لأنّه لا يمكن معرفة أوجه إعجاز القرآن الكريم و الجهة التي منها قامت الحجّة به إلّا بهما معا ، وهو يؤكّد هذه الحقيقة بقوله: " وذلك أنّنا إذا كنّا نعلم أنّ الجهة التي منها قامت الحجّة بالقرآن وظهرت، و بآنت، و

²⁴ - ابن عباس، غريب القرآن، حقه و قدّم له أحمد أبو لوط، مكتبة الزّهراء، القاهرة، مصر، ط1، 1993، ص3 ، و عبد الجليل عبد الرّحيم، المرجع

السّابق، ص420 وما بعدها، و محمود سليمان ياقوت، المرجع السّابق، ص65 وما بعدها

²⁵ -القاضي عياض (أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض البستي اليحصبي) الشّفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلّم ، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده ، مصر ، 1950 ، 166/1 ، و عائشة عبد الرّحمان بنت الشّاطي ،

الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، د.ت. ، ص58 وما بعدها

²⁶ - عبد القاهر الجرجانيّ ، المرجع السّابق ، ص16 و 17

بهرت ، هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصّر عنه فؤى البشر، ومُنْتَهياً إلى غاية لا يُطَمَح إليها بالفكر، و كان مُحالاً أن يعرف كونه كذلك ، إلا مَنْ عَرَفَ الشَّعْرَ الذي هو ديوانُ العرب ، و عنوانُ الأدب ، والذي لا يُشكَّ أنه كان ميدانَ القوم إذا تجاروا في الفصاحة و البيان ، و تنازَعوا فيهما قَصَبَ الرّهان ، ثم بحث عن العِلل التي بها كان التّبائُن في الفضل ، و زاد بعضُ الشَّعر على بعضٍ كان الصادُّ عن ذلك صادّاً عن أن تُعرَف حجةُ الله تعالى ، و كان مثله مثل مَنْ يتصدّى للنّاس ، فيمنعهم عن أن يحفظوا كتابَ الله تعالى ، و يقوموا به ، و يتلوه ، و يقرئوه ، و يصنع في الجملة صنيعاً يودّي إلى أن يقلَّ حفاظُه ، و القائمون به ، و المُقرئون له".⁽²⁷⁾

2- علماء العربيّة المحدثون:

ولقد أنكر الكثير من العلماء و الأدباء و النّقّاد و الباحثين المحدثين قول من قال: " إنَّ الشَّعر لا يعبر إلا عن العواطف والمشاعر ، ولا علاقة له بالعقل والعلم " ، ورأوا - هم أيضا - أن هذا الحكم جائر، وفيه ظلم وإجحاف كبيران في حقّ الشَّعر العربيّ، وذهبوا إلى أنّ العرب كان لهم قبل ظهور الإسلام مجموعة من المعارف التي برعوا فيها ، وامتازوا بها عن غيرهم من الأمم الأخرى ، وعلى رأسها الشَّعر، وفي هذا يقول محمود سليمانيات ياقوت: " يعدّ الشَّعر في الجاهليّة عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حُكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون ، وهو علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه "⁽²⁸⁾. وتجدر الإشارة - هنا - إلى أنّه بالرغم من كثرة الشَّعر الجاهليّ الذي وصل إلينا إلاّ أنّه لم يصلنا منه إلاّ القليل. قال أبو عمرو بن العلاء: " ما انتهى إليكم ما قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير "⁽²⁹⁾. و يقول عمر فرّوخ - أيضا - في موضع آخر: " إنَّ الشَّعر ألصق بالعاطفة لا ريب في ذلك، و إنّ طبيعة النثر أقرب إلى العقل ، ما في ذلك شكّ ، و لكننا لا نستطيع أن نوافق الذين يريدون أن يقيموا بينهما سِتاراً حديدياً "⁽³⁰⁾. ونجد عمر فرّوخ يردّ - أيضا - على من ادّعى من الأدباء والشّعراء والنّقّاد المحدثين بأنّ الشَّعر العربيّ ما هو إلاّ ديوان عواطف ومشاعر لا أكثر ولا أقلّ ، فيقول: " لأحدِ شيوخِ الأدب في العصر الحاضر قولٌ هو أنّ الشَّعر لغةُ العاطفة ، و أنّ النثر لغةُ العقل ، و دليلُهُ على ذلك أنّ الفلسفة اليونانية كُتبت بالنثر . ثم يقول معلّقاً على هذا القول: " إنّ هذا القول خليق أن يُحلل في كتاب. " ، ثم يقول في موضع آخر معلّقاً عليه مبدياً فيه رأيه: " أتأ لا أنكر ، و لا يجوز لغيري أن ينكر ، أننا إذا أردنا أن نعبر عن عواطفنا ، فإننا نستعين على ذلك - عادة - بالشَّعر. و أمّا إذا أردنا أن نعالج موضوعاً فكرياً ، فإننا نلجأ في ذلك إلى النثر. غير أنّ ذلك ليس قاعدة

²⁷ - عمر فرّوخ ، المرجع السابق

²⁸ - المرجع السابق

²⁹ - ابن سلام الجمحيّ ، طبقات فحول الشّعراء ، تحقيق محمود محمّد شاكر ، القاهرة ، مصر ، 1973 ، ص25 ، وسليمان ياقوت ، المرجع السابق ، و هادي نهر ، المرجع السابق.

³⁰ - عمر فرّوخ ، المرجع السابق ، ص263

فاصلة. لَمَّا فَرَّغَ الْيُونَانِيُّونَ الْقَدَمَاءَ أَنْوَاعَ الشَّعْرِ وَجَدُوهَا أَرْبَعَةً: الشَّعْرَ الْغَنَائِيَّ ، وَ الشَّعْرَ الْمَلْحَمِيَّ ، وَ الشَّعْرَ التَّمثِيلِيَّ ، وَ الشَّعْرَ التَّعْلِيمِيَّ. وَ الشَّعْرُ التَّعْلِيمِيُّ الَّذِي عَرَفْتَهُ الْأُمَمُ الْمُتَحَضِّرَةُ كُلُّهَا لَا صِلَةَ لَهُ بِالْعَاطِفَةِ. وَ مَعَ ذَلِكَ فَاسْمُهُ شَعْرٌ" (31). وَ خَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ لُغَةً الْعَقْلِ هُوَ الشَّعْرُ التَّعْلِيمِيُّ، بِحَيْثُ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْعُلُومِ كَتَبَتْ شَعْرًا، كَالْمَنْطِقِ، وَاللُّغَةِ، وَ الْفِقْهِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَ الْحَدِيثِ، وَ الْبَلَاغَةَ، وَ التَّارِيخَ...إلخ. وَ أَمَّا مَا نَسْتَدَلُّ بِهِ هُنَا أَلْفِيَّةَ ابْنِ مَالِكِ الشَّهْبِيرَةِ فِي عِلْمِي النَّحْوِ الصَّرْفِ (32) وَ شَرَحَ الْكَافِيَةَ الْبَدِيعِيَّةَ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَمَحَاسِنِ الْبَدِيعِ لَصَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِّيِّ (33). وَ فِي هَذَا يَقُولُ عَمْرُ فَرُوحَ: " وَ أَيُّ عَاطِفَةٍ فِي قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ فِي أَلْفِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي تَعْدَادِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُكْسَرُ فِيهَا هَمْزَةٌ (إِنَّ) :

وَ أَكْسِرُ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، وَ فِي صِلَةِ ، *** وَ حَيْثُ (إِنَّ) لِيَمِينٍ مُكْمَلَةٌ
وَ كَسَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلٍ عُلْفًا *** بِاللَّامِ ، كَاعْلَمَ إِنَّهُ لَدُو نُقَى ! " (34).

وَ تَجْدُرُ الْإِشَارَةُ - هُنَا أَيْضًا - إِلَى أَنَّ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ كَانَ لَهُ الْأَثَرُ الْبَالِغُ - فِي عَمَلِيَّةِ الْاسْتِشْهَادِ بِهِ لِلتَّقْنِينَ لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَ التَّقْيِيدِ لَهَا - فِي جَمْعِ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفَصِيحَةِ وَ تَدْوِينِهَا فِي مَوْأَلَفَاتِهِمْ الْمُخْتَلَفَةِ وَ مَعَاجِمِهِمُ الْمُتَنَوِّعَةَ (35)، كَمَا أَنَّ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ - لَمْ يَكْتَفِ بِأَنَّ سَجَلَ لَنَا كُلَّ مَظَاهِرِ حَيَاةِ الْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ ، وَ حَالَاتِهِ ، وَ ظُرُوفِهِ ، وَ طَبَقَاتِهِ ، وَ أَلَمِهِ ، وَ آمَالِهِ ، وَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَهَمِّ الْعَوَامِلِ الَّتِي سَاهَمَتْ فِي حَدُوثِ الْكَثِيرِ مِنَ الثَّرَوَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَ التَّغْيِيرَاتِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي حَدَثَتْ لِلْمَجْتَمَعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ عِبْرَ جَمِيعِ الْمَرَاهِلِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَعَدَّ فِي صَمِيمِ اِهْتِمَامَاتِ اللِّسَانِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَ عِلْمِ الْاجْتِمَاعِ اللِّسَانِيِّ وَ أَبْحَاثِهِمَا (36). وَ ذَهَبَ بَعْضُ الْبَاخِثِينَ إِلَى أَنَّ لِلتَّارِيخِ مَصْدَرَيْنِ اثْنَيْنِ: مَصَادِرَ مَقْصُودَةٍ ، كَالْوَثَائِقِ الرَّسْمِيَّةِ وَ الْكُتُبِ الْمَوْأَلَفَةِ فِي التَّارِيخِ ، وَ مَصَادِرَ مَسَاعِدَةٍ ، كَدَوَائِنِ الشَّعْرِ وَ الْقَوَامِيْسِ وَ الْكُتُبِ الَّتِي

³¹ - ينظر مثلا: ابن مالك ، متن ألفية ابن مالك ، دار الإمام مالك ، باب الوادي ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، ط1 ، 2002 ، وابن هشام الأَنْصَارِيِّ ، أَوْضَحَ الْمَسَالِكَ إِلَى أَلْفِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ وَمَعَهُ كِتَابُ "عَدَّةُ السَّالِكِ إِلَى تَحْقِيقِ أَوْضَاحِ الْمَسَالِكِ" لِمُحَمَّدِ مَحْيِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ ، صَيْدَا ، بَيْرُوتَ ، لُبْنَانَ ، د.ت. ، وَمُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ ، شَرَحَ أَلْفِيَّةَ ابْنِ مَالِكٍ ، أَعَدَّهُ لِلنَّشْرِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنُ مُحَمَّدِ بَيْصَارٍ وَخَرَجَ أَحَادِيثَهُ أَحْمَدُ رَمْضَانَ ، ط1 ، دَارُ ابْنِ الْجُوزِيِّ ، الْقَاهِرَةَ ، مِصْرَ ، 2008 ، ص10

³² - عَمْرُ فَرُوحَ ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ، ص 262

³³ - صَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِّيِّ (عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سَرَايَا بْنِ عَلِيِّ السَّبْسَبِيِّ) ، شَرَحَ الْكَافِيَةَ الْبَدِيعِيَّةَ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَمَحَاسِنِ الْبَدِيعِ ، تَحْقِيقُ نَسِيبِ نَشَاوِي ، دِيْوَانَ الْمَطْبُوعَاتِ الْجَامِعِيَّةِ ، الْجَزَائِرِ ، 1989 ، ص3

³⁴ - الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ

³⁵ - عَبْدِ الْطَّيْفِ الصَّوْفِيِّ ، اللُّغَةُ وَمَعَاجِمُهَا فِي الْمَكْتَبَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، طَلَّاسُ لِلدِّرَاسَاتِ وَ التَّرْجُمَةِ وَ النِّشْرِ ، دِمَشْقَ ، سُورِيَةَ ، ط1 ، 1986 ، ص231 وَمَا بَعْدَهَا ، وَ هَادِي نَهْرَ ، الْمَرْجِعُ السَّابِقُ ، ص107 وَمَا بَعْدَهَا

³⁶ - هَادِي نَهْرَ ، الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ ، ص107 وَمَا بَعْدَهَا

لم تُولف في التّاريخ ، ولكن ورد فيها إشارات تاريخيّة عَرَضًا⁽³⁷⁾. وخير مثال على الشّعر التّاريخي " إليادة الجزائر " التي ألفها شاعر الثّورة الجزائريّة مفدي زكريّا ، وسجّل فيها تاريخ الجزائر ، وجمالها ، وجلالها ، وبطولات شعبها وأمّجاده عبر جميع مراحل تاريخه العريق حتّى أصبحت هذه القصيدة الطّويلة الرّائعة وثيقة تاريخيّة معتمدة. ولا يخفى على الباحثين أنّ " الإليادة " قصيدة شعريّة ملحمة تتدرج ضمن ما يسمّى بأدب الملاحم المعروف. وهي مرادفة للملحمة ، والملحمة قصّة بطولة تُحكى شعرا على أفعال عجيبة ، وفيها يتجاوز الوصف مع الحوار ، وصور الشّخصيات والخطب ، أو بعبارة أخرى: عمل فنيّ إبداعيّ كبير يتحدّث عن الجذور والطّوقس التّاريخيّة لسيرة شعب ، أو أبطال ، أو حضارة في أكثر الأحيان. وهي إبداع شعريّ وأدبيّ ملحمة عالميّ منقول عن الأدب الإغريقيّ القديم⁽³⁸⁾. ولا يخفى على أحد أنّ للشّعر العربيّ طبيعة إنسانيّة وقيمة تاريخيّة ووظيفة مهمّة في تسجيل تاريخ العرب، والتّعبير عن حياة جميع الطّبقات الاجتماعيّة وهمومها وأحلامها. ومن هنا كان الأدب مصدرا من مصادر التّاريخ الإنسانيّ ، بل هو أخطر مصادر التّاريخ. ولذلك قال علماء العربيّة القدامى: " إنّ الشّعر الجاهليّ ديوان العرب " ، لأنّهم لم يكادوا يعرفون شيئا من أمر هؤلاء الجاهليّين إلّا من طريق هذا الشّعر.⁽³⁹⁾

الخاتمة:

يخطأ - إذن - من يعتقد أنّ الشّعر العربيّ هو ليس ذلك الشّعر الذي يعبر به عن العقل والعلم ، وأنّه لا يعبر به إلّا على العواطف والأحاسيس. فقد أجمع الكثير من العلماء ، والأدباء ، والنّقاد قديما وحديثا إلّا من شدّ منهم على أنّ الشّعر العربيّ كان عبر جميع حقبة التّاريخ الطّويل سجلاّ حافل وصادق لحضارة العرب العريقة وما كانوا يتمتّعون به من معارف وما كانوا بارعين فيه من علوم وفنون. كيف لا ، وهو ديوان العرب الذي سجّل تاريخهم ، وأخبارهم وإبداعاتهم ، ومآثرهم تسجيلا دقيقا صحيحا؟! ، كما أجمعوا على أنّ الشّعر - عند العرب - في معناه الاصطلاحيّ - يحمل دلالات العلم ، والإدراك ، والوعي ، والفطنة ، فهو منظوم القول ، وجمعه أشعار ، وقائله شاعر ، لأنّه يشعر ما لا يشعر به غيره ، أي: أنّه صاحب فطنة ، و هو يعلم ، ويدري ، ويعي. قال شاعر جاهليّ: شعرت لكم لما تبينت فضلكم على غيركم ما سائر الناس يشعرون. وقيل: لم يُسمّ الشّاعر شاعرا إلّا لفنّته وعلمه.

³⁷ - عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص 64

³⁸ - محمّد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، نهضة مصر للطباعة ، والنشر ، والتوزيع ، الجيزة ، القاهرة ، ص ، و عبد المطلب سيّد ، ملاحم كلكامش والإليادة والأوديسة في الإبداع والتّشابه والدّراما ، دار الفكر ، دمشق ، سوربة ، ط 1 ، ص 24 وما بعدها ، و ، وبلحيا الطّاهر ، تأملات في إليادة الجزائر لمفدي زكريّا ، المؤسسة الوطنيّة للكتاب ، الجزائر ، ط 3 ، 1987 ، ص 85 ، وانظر مفدي زكريّا ، إليادة الجزائر ، منشورات وزارة الشّؤون الدّينيّة ، الجزائر ، 2002 ، ص 11 و 12

³⁹ - طه حسين ، خصام ونقد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص 44 و 45

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

1. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ، المطبعة الفنيّة الحديثة، القاهرة، مصر، 1965.
2. إبراهيم محمّد نجا، فقه اللّغة ، مطبعة الأزهر ، القاهرة ، مصر ، 1956.
3. أحمد محمّد قدّور، مدخل إلى فقه اللّغة العربيّة، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1993.
4. بلحيا الطاهر ، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريّا ، ط3، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب ، الجزائر .
5. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان ،، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون ، ج1، دار الكتاب العربيّ، بيروت ، لبنان ، 1969 .
6. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربيّة ، المجلّد الأوّل، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1982.
7. حسين الحاج حسين، حضارة العرب في عصر الجاهلية، ، ط1، المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان ، 1984 .
8. خالد محمّد حمد، العرب من اليمين إلى اليسار الحرب على العرب، دار يعرب للدراسات والنّشر، دمشق، سوريا، 2006.
9. الرّاغب الأصفهانيّ (أبو القاسم حسين بن محمّد بن المفضّل)، ط1، المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط محمّد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ، 1998، (شعر)
10. رمضان عبد التّوّاب، دراسات وتعليقات في اللّغة، النّاشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1994
11. الرّركشيّ (بدر الدّين محمّد بن عبد الله)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ج1 ، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان، د.ت.
12. السّجستانيّ (أبو بكر محمّد بن عزيز)، غريب القرآن المسمّى ب(نزهة القلوب) ، الرّهراء ، د.ت.
13. ابن سلامّ الجمحيّ ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمّد شاكر ، القاهرة ، مصر ، 1973.
14. ابن سلامّ الجمحيّ ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمّد شاكر ، القاهرة ، مصر ، 1973 .
15. السيّوطيّ (جلال الدّين بن عبد الرّحمن)، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، شرح وتعليق محمّد جاد المولى بك ومحمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البخاوي، ج1 ، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان 1987، ودار الجيل، بيروت، لبنان، ودار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
16. الشّيخ أحمد رضا ، مولد اللّغة ، قدّم له ، وعلّق عليه نزار رضا ، دار الرّائد العربيّ ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

17. صبحي الصّالِح ، دراسات في فقه اللّغة، ط1 وط10، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ، 1960 و 1983.
18. صفّي الدّين الحَلّيّ(عبد العزيز بن سرايا بن علي السبسيّ) ، شرح الكافية البديعيّة في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تحقيق نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1989.
19. طه حسين، خصام ونقد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، 1987 .
20. عائشة عبد الرّحمان بنت الشّاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، ط3، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ، د.ت.
21. عادل عبد الجبّار زاير، معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللّغة العربيّة، ط1، مكتبة لبنان ناشرون 1998.
22. ابن عبّاس، غريب القرآن، حقّقه وقَدّم له أحمد أبو لوط، ط1، مكتبة الرّهراء، القاهرة، مصر، 1993.
23. عبد الجليل عبد الرّحيم ، لغة القرآن الكريم ، مكتبة الرّسالة الحديثة، عمان، الأردن، د. ت.
24. عبد المطّلب سيّد ، ملاحم كلكامش والإلياذة والأوديسة في الإبداع والنّشابه والدّراما، دار الفكر ، دمشق ، سورّيّة .
- 25- عبد الواحد وافي ، فقه اللّغة، ط6، ملتزم الطّبع والنّشر لجنة البيان العربيّ، القاهرة، مصر، 1968.
- 26- عمر فروخ ، عبقرية اللّغة العربيّة ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت ، لبنان ، 1981.
- 27- ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا)، الصّاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها ، حقّقه وقَدّم له مصطفى الشّومي، مؤسّسة بدران للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 1964.
- 28- ابن قتيبة (أبي محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوريّ)، تفسير غريب القرآن ، تحقيق السيّد أحمد صقر ، دار الكتب العلميّة .
- 29- القاضي الجرجانيّ (عليّ بن عبد العزيز بن الحسين بن عليّ)، الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم الجاوي ، القاهرة ، مصر ، 1945.
- 30- القاضي عيّاض (أبو الفضل بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض البستي اليحصبي الشّفاء بتعريف حقوق المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، ج1 ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده ، مصر ، 1950 .
- 31- عبد اللّطيف الصّوفي ، اللّغة ومعاجمها في المكتبة العربيّة، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنّشر، دمشق، سورّيّة، ، 1986 .
- 32- ابن مالك ، متن ألفيّة ابن مالك ، ط1، دار الإمام مالك ، باب الوادي، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2002 .
- 33- محمّد الخضر حسين ، دراسات في العربيّة وتاريخها ، المكتب الإسلاميّ ومكتب الفتح، دمشق، سورّيّة، 1960.
- 34- محمّد الصّادق قمحاوي، تهذيب غريب القرآن ، مكتبة الكليّات الأزهرية ، القاهرة ، مصر ، د.ت.

- 35- محمد بن صالح العثيمين، شرح ألفية ابن مالك، أعدّه للنشر عبد الواحد بن محمد بيسار وخرّج أحاديثه أحمد رمضان، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2008.
- 36- محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة، والنشر، والتوزيع، الجيزة، القاهرة.
- 37- محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، لطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2002.
- 38- مصطفى علم الدين، المجتمع الإسلامي في مرحلة التكوين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1992.
- 39- مفدي زكريا، إلهة الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2002.
- 40- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.، (شعر)
- 41- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي، ط1، دار الغصون، بيروت، لبنان، 1988.
- 42- ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ومعه كتاب "عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك" لمحمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د.ت.
- 43- يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1983.

ثانياً: المقالات:

- هاشم صالح مناع، الحكمة وتطورها في شعر أبي تمام (عرض وتحليل)، التراث العربي، مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، سورية، ج1، العدد: (101)، كانون الثاني، 2006.